

بدونها لن يحقق مسعاه : تبليغ الحكمة لجمهور واسع. السرد شرٌ لا بد منه. بفضل السرد يتلقى الشخص السخيف أو اليافع الحكمة بدون عناء، فيكون «كالرجل الذي يُدرك حين يُدركه فيجد أباه قد كنز له كنوزاً من الذهب واعتقد له عقداً استغنى به عن استقبال السعي والطلب».(6)

إذا أردنا أن نكتشف سرّ نجاح المثل في إثارة انتباه القارئ، علينا أن نربط كلام ابن المقفع بكلام الجرجاني حول «التمثيل» والأسباب التي تجعل منه صورة تعمل بقوة في نفس المتلقى. التمثيل، حسب الجرجاني، ينقل النفس من الشيء «المُدرك بالعقل المحض، وبالفكرة في القلب، إلى ما يُدرك بالحواس أو يُعلم بالطبع، وعلى حدّ الضرورة».(7) إنّ النفس متعلقة بما تعلمته تلقائياً، في فترة الصبا، عن طريق الحواس، فهي لهذا تشعر بالارتياح والحبور عندما يعرض لها التمثيل ما ألفتته وأنسّت به... ما ينطبق على التمثيل ينطبق أيضاً على المثل : باختلاق حكايات أبطالها من الحيوان، يتم تحقيق هدف المرّبي الحكيم، لأنّ معدن السرد يتكون من الحواس ومن الميول والرغبات الطفولية.

. المثل يتألف من عنصرين اثنين. العنصر الأول عبارة عن سرد، عن حكاية تدور أحداثها بين أصنافٍ مختلفة من الحيوانات. العنصر الثاني هو الحكمة التي لولاها لما رويت الحكاية. على أنّ هناك خاصية أخرى لم تُشر إليها بعد، يمكن اعتبارها غاية الغاية. رأينا أنّ الغاية من المثل هي الحكمة، ويلزم الآن أن نضيف أنّ الحكمة بدورها وسيلة ينبغي أن تؤدي إلى غاية : العمل. ذلك «أنّ العلم لا يتم إلا بالعمل وأنّ العلم كالشجرة والعمل فيها كالثمرة فيلزم صاحب العلم القيام بالعمل لينتفع به وإن لم يستعمل ما تعلم فلا يسمى عالماً».(8) الحكمة تُطلب من أجل أن يعمل بها، وإلا فلا فائدة من طلبها.

(6) ابن المقفع، ص. 51.

(7) الجرجاني، ص. 94.

(8) ابن المقفع، ص. 53.